مجلة كلية
الدعوة الإسلامية

العدد الثالث عشر
1996

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1425 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1996 أفرنجي

المنهج العلمي عند العرب

أبحاث منقودة

العامل النحوي في ميزان النقد

تراجم من الفكر الغربي

أ. عبد الله محمد النقراط
جامعة الفاتح

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، وأفصح من بيّن أسرار كتاب الله العزيز، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فمن خلال اطلاعي على مخطوطات مؤسسة علال الفاسي بالرباط، وجدت ضمن مخطوطاتها تقييداً مهماً، على سورة الإخلاص، يجمع في صفحاته القليلة بين التفسير واللغة، ويعتمد في دراسته على الاستقصاء والتحليل، ولا غرو في ذلك، فصاحبه العلامة ابن زكري، عالم مشارك في كثير من فنون العلم.

وقد ضمّن هذا التقييد تفسيراً لسورة الإخلاص، مبيناً أنها: «تعدل ثلث القرآن كما في الحديث، لاشتمالها على أحد علوم القرآن الثلاثة، وهي:

التوحيد، والأحكام، والقصص، أي لم يقصد منها غير التوحيد، الذي هو أشرف بخلاف غيرها من السور[1].

مبيناً كذلك سبب نزولها وآراء بعض العلماء في تفسيرها، وقد تعرض من خلال تفسيره لهذه السورة لمسائل نحوية مهمة، يحتاج إليها المتخصصون، منها على سبيل المثال قوله: «وهو: ضمير المسؤول عنه مبتدأ واسم الجلالة خبر أول، وأحد ثان، واسم الجلالة الثاني ثالث، والصمد رابع».

وقال البصريون: «هو: ضمير والأحد الشأن، مبتدأ. والجملة من اسم الجلالة وأحد مفسرة خبر.. الخ»[2].

لهذه الأسباب وغيرها، أدركت أهمية هذا التقييد، فعزمت على تحقيقه وإظهاره لعالم النور، حتى تتم الاستفادة منه، وذلك لاشتماله على تخريجات دقيقة، ونكت عجيبة، قلّما تجدها مجتمعة في تفسير معين، خاصة أن هذا التقييد فيما وصل إليه علمي لم يسبق لأحد تحقيقه ونشره، وقد قصدت من ذلك أيضاً إدخاله للمكتبة العربية التي هي في حاجة إلى مثل هذا التقييد وغيره من كتب التراث الإسلامي الجامعة لكثير من العلوم.

ومن ذلك نرى أن هذا التقييد وغيره مما اطلعت عليه من مؤلفات هذا العالم المبدع، يدلنا دلالة واضحة على سعة اطلاع صاحبه وفهمه الواسع لمسائل التفسير واللغة وغيرها فهماً عميقاً.

لذلك رأيت أن أترجم لصاحبه ترجمة وجيزة ذاكراً اسمه ونشأته، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية، ورحلاته، معدداً بعض مؤلفاته ومبيناً مكان وجودها ما أمكن ذلك، ووفاته، ذاكراً نسخ التقييد المعتمد في التحقيق ومكانها.

---

(1) المخطوط (ع 194 ص 1 أ).

(2) نفسه ص 2.

أولاً: المؤلف

1 ـ اسمه:

هو: الإمام العالم العلامة الهمام، المشارك المحقق، الصوفي، الحجة الضابط، الولي الصالح، محمد بن عبد الرحمن بن زكري، أبو عبد الله، المغربي، الفاسي، المولد والنشأة والوفاة، محدث مسند، فقيه مالكي، من علماء القرن الثاني عشر[3]، لم تذكر المصادر التي ترجمت له، التي بين أيدينا تاريخ ميلاده.

2 ـ نشأته

كان ـ رحمه الله ـ في أول أمره يحترف بصناعة الدباغة، مع والده، وكان والده مصاحباً لسيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وملازماً لمجلس تدريسه، وكان هو يحضر مع والده فيه، وكان لصغره يجلس في مؤخر الناس، وكان يبحث مع الشيخ كثيراً ويسأله، وكان الشيخ يعجبه سؤاله ويستحسنه من غير أن تكون له به معرفة، ثم أنه أقامه يوماً من المؤخر وأجلسه قريباً منه، وقال له: مثلك لا يتأخر. رآه يوماً وفي يده أثر الدبغ فسأل عنه، فقيل له: إنه ولد سيدي عبد الرحمن بن زكري، وقال له والده هو ولدي، فقال له الشيخ: وهل يخدم الصنعة؟ قال: نعم، فقال له الشيخ: إنه لا تناسبه الصنعة، وإنما تناسبه القراءة لنجابته وفطنته فأخرجه من الصنعة ولا تتركه فيها، واجعله في قراءة العلم، وله أجر، وإن عجزت عن شيء من مؤنته فأنا أعينك، فأخرجه عند ذلك والده وتركه لقراءة العلم، فكان يقرأ حتى فتح الله عليه، كذا ذكرها «سلوك الطريق الوارية» وفي «تحفة الإخوان» إن الذي منعه من صناعة الدباغة وأمره بالقراءة الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي، دفين الشرشور من عدوة

---

(3) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص 335، وسلوة الأنفاس للإمام محمد بن جعفر الكتاني 1/ 158، والأعلام للزركلي 7/ 69 ومعجم المؤلفين لكحالة 10/ 140، وفهرس الخزانة الخديوية 2/ 121، وفهرس الخزانة التيمورية 2/ 147، وفهرس دار الكتب المصرية 7/ 175، وإيضاح المكنون 1/ 122 وفيه توفي بمصر.

فاس القرويين، قال بعضهم ولا معارضة بينهما لاحتمال اجتماع رأي الشيخين معاً على ذلك، قال: إذ إن النسبة إلى الشيخ الرقعي أشهر وأصحّ ـ والله أعلم.

وكان سكناه بالديوار من حومة الصاغة ويؤم بالمسجد الكائن هنالك، وكانت له به مجالس علم، ويقرأ فيه صبيحة الخميس والجمعة الحكم لابن عطاء الله، وكانت له فيه عمادة كبيرة حتى ضاق المسجد. وصنع به مقعداً يجلس عليه من لم يسعه المسجد في الازدحام، وذلك قبل توسيع المسجد المذكور[4].

3 ـ شيوخه وتلاميذه:

قرأ ـ رحمه الله ـ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي وانتفع به، وأبي العباس أحمد بن العربي بن الحاج، وأبي عبد الله محمد المسناوي، وميارة الصغير وغيرهم.

وأخذ عنه الشيخ محمد جسوس، وأحمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي، السلوى، المتوفى سنة 1163 وأبي محمد بن عبد المجيد بن علي المنالي وغيرهم وجماعة من أعيان فاس[5].

4 ـ مكانته العلمية:

كان عالماً عاملاً، صوفياً كاملاً، ممن تقصر عن محاسنه الأقلام، وتكل دون منتهاها ألسنة الأنام، أمره أشهر من نار على علم، قد برع في سائر الفنون وغاص في لججها فاستخرج منها نفائس الدر المكنون، جامعاً به أدوات الاجتهاد، قادراً على الاستنباط، عارفاً بما بين العلة والمعلول من جوامع الارتباط، بالغاً غاية الأدب، في تحقيق علوم الأدب، من النحو والتصريف واللغة والعروض، والقوافي، والمعاني والبيان، والبديع، وصناعة الشعر

---

(4) سلوة الأنفاس 1/ 158، 159.

(5) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص 335، وسلوة الأنفاس 1/ 160، وفهرس الخزانة العامة بالرباط 1/ 255...

والترسيل، وأنساب العرب وأيامها، وتواريخ غيرها من الأمم السالفة، وتراجم الأخبار، لا يدرك شأوه[6].

5 ـ رحلاته:

ذكر الكتاني في سلوة الأنفاس: أنه حج سنة أربعين ومائة وألف، ولقي هنالك ناساً من أهل الخير، ولما دخل مصر، ورأى ما عليه الناس من الولوع بشرب الدخان عاب عليهم ذلك، وأكثر الكلام فيه وصرح بتحريمه، فعقد علماؤها مجلساً لمناظرته في جامع الأزهر فناظرهم، وكان كلما احتج عليهم بنص يقولون هذه نصوص المالكية، ونحن حنفيون وشوافع، فلما طال المجلس بينهم في الجدال قال لهم: أضرب لكم مثلاً، أرأيتم إذا دخل عليكم النبي ﷺ وهي بأيديكم أو بأفواهكم أكنتم تتركونها، أم تفعلونها بحضرته؟ فقالوا: نتركها حياءً منه وأدباً، فقال لهم: كل ما يستحيى به من النبي ﷺ ويخبأ عنه فهو حرام لأن الحياء في الحق بدعة، والبدعة وصاحبها في النار، وإخفاء المعصية منه ـ عليه السلام ـ وإظهار نفيها يكون نفاقاً، فانبهَروا وسكتوا، وكان ـ رحمه الله ـ معتنياً بزيارة شرفاء أهل وازان، كالشيخ مولاي الطيب الوازني، فنفحت عليه أنوارهم وظهرت عليه بركاتهم، وصحب تلميذهم الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي فنفعه الله بصحبته، قال بعضهم: وأخبرني بعض الثقات عن غير واحد من العلماء، أنه ـ رضي الله عنه ـ كانت تحصل له غيبة فيرى النبي ﷺ يقظة[7].

6 ـ آثاره

ألف العلامة ابن زكري تآليف عديدة مفيدة، مختلفة الأوضاع، عمّ بها في سائر الأقطار الانتفاع، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ شرح النصيحة الكافية لأحمد زروق، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (2103 د)، عدد صفحاته 289، أوله: الحمد لله الذي

---

(6) سلوة الأنفاس 1/ 159.

(7) سلوة الأنفاس 1/ 160.

جعل الدين النصيحة، وقيض لها من علماء الأمة من صرف نحوها تلويحه وتصريحه.. الخ، بخط مغربي جيد، فرغ من تأليفه 21 صفر سنة 1123 هـ وقع الفراغ من نسخة ليلة، الاثنين 16 شوال سنة 1290 هـ على يد محمد بن عبد السلام التستري، منها نسخة أخرى تحت رقم (807 د) جزءان، ونسخة ثالثة تحت رقم (1247 د)، من ورقة 1 ب إلى 162 ب[8].

2 ـ شرح الفريدة للسيوطي، ذكر الزركلي بأنها مطبوعة[9].

3 ـ شرح الحِكم العطائية، مخطوط بالخزانة الخديوية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (نس 2 ج 1، ن خ 230، ن ع 2698)[10] وذكره الكتاني في سلوة الأنفاس، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية[11].

4 ـ الصلاة المشيشية: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط بعنوان «الإلمام، والإعلام» وهو شرح على الصلاة المشيشية تحت رقم (3989 د)، نسخة ثانية تحت رقم (1670 د) في أوله بتر من ورقة 53 إلى 108 (الأدعية)، نسخة ثالثة تحت رقم (3789 د)، نسخة رابعة تحت رقم (2459 د) في مجموع من 201 إلى 401 (التصوف)، نسخة خامسة تحت رقم (2765د).

وهي أيضاً في الخزانة الخديوية بعنوان: «إلمام والإعلام» بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب ابن مشيش عبد السلام وهو شرح عليها، تم هذا الشرح تأليفاً وقت العصر من يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجة الحرام سنة 1129 هـ، نسخة في مجلد بقلم عادي تحت رقم (نس 1 ج 1، ن خ 2، ن ع 5091)[12].

---

(8) انظر فهرس الخزانة العامة بالرباط 1/ 255، وسلوة الأنفاس 1/ 159، وشجرة النور الزكية ص 335.

(9) انظر المصادر السابقة والأعلام للزركلي 7/ 69.

(10) انظر فهرس الخديوية 2/ 121.

(11) سلوة الأنفاس 1/ 159 شجرة النور الزكية ص 335.

(12) انظر فهرس الخزانة العامة الرباط، وفهرس الخزانة الخديوية 2/ 184 وذكرها محمد مخلوف في المصدر السابق، والكتاني في المصدر السابق، وكحالة في معجم المؤلفين 10/ 140، والبغدادي في إيضاح المكنون 1/ 122.

4 ـ الهمزية التي عارض بها همزية البوصيري، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2517 د) شرح همزية البوصيري).

نسخة ثانية تحت رقم (2853 د).

نسخة ثالثة تحت رقم (1071 د) الهمزية في مدح خير البرية من ورقة 130 ب إلى 143.

نسخة رابعة تحت رقم (1799 د) الهمزية مع شرح عليها أوله الحمد لله وحده الذي حبب إلينا الخ، من جزأين بالأول ورقات 145 وبالثاني ورقات 264 خط مغربي لا بأس به.

نسخة خامسة تحت رقم (3834 د) شرح على قصيدة الهمزية التي عارض همزية البوصيري، السفر الثاني.

وهي أيضاً في دار الكتب المصرية تحت الأرقام الآتية 4917، 1642، 14213، فرغ من تأليف الشرح صبيحة يوم الجمعة من شهر جمادى الآخرة 1133 هـ، نسخة في مجلدين، بقلم مغربي، بخط محمد بن المصطفى بن محمد بن طاهر البقالي الحسني، فرغ من كتابتها وقت الزوال من أول شهر شعبان سنة 1230 هـ[13].

5 ـ حاشية على الجامع الصحيح للبخاري، مطبوع طباعة حجرية في خمسة أجزاء[14].

6 ـ حاشية على توضيح ابن هشام لم تكمل، بلغ فيها إلى المفعول المطلق[15].

7 ـ المنح البادية في الأسانيد العالية[16].

---

(13) انظر فهرس الخزانة العامة الرباط، والمصادر التي ترجمت له. وفهرس دار الكتب المصرية 7/ 175.

(14) انظر فهرس الخزانة التيمورية 2/ 147، والأعلام للزركلي 7/ 69 وسلوة الأنفاس 1/ 160، ومعجم المؤلفين 10/ 140.

(15) انظر سلوة الأنفاس المصدر السابق، وشجرة النور الزكية ص 335.

(16) انظر إيضاح المكنون 2/ 576.

8 ـ تفسير على مواضيع من القرآن[17].

9 ـ شرح الشمائل[18].

وله أنظام وأشعار وتآليف كلها في غاية التحقيق.[19].

7 ـ وفاته:

أجمعت المصادر التي ترجمت له على أنه توفي عام 1144 وذكر الكتاني أنه توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الأربعاء ثامن عشر من شهر صفر الخير سنة أربع وأربعين ومائة وألف، ونقل عن «النشر» أنه دفن في دار براحا باقصى درب الطويل بجوار روضة سيدي عزيز بينه وبين سيدي محمد ميارة، واتخذها الناس مقبرة لدفن الأموات[20].

ثانياً: النص المحقق:

اعتمدت في تحقيق هذا التقييد على نسختين مخطوطتين الأولى محفوظة بمؤسسة علال الفاسي بالرباط تحت رقم (ع 194) في مجموع من ص 103 إلى ص 116، عدد صفحاته (14) صفحة، مقياسه 21 × 17 سم عدد الأسطر (16) سطراً ومتوسط عدد الكلمات في كل سطر (10) كلمات، خطها مغربي واضح وجميل، ناسخها مجهول.

النسخة الثانية: محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2216 د) بعنوان تفسير سورة الإخلاص في مجموع من ص 108 إلى ص 116 مجهولة الناسخ، مسطرتها 15 × 8 سم، عدد الأسطر (22) سطراً، عدد الكلمات من 9 إلى 10 كلمات، بخط مغربي وسط، في بعض صفحاته تآكل ضئيل غير مؤثر على النص وقد قابلتها مع النسخة الأصل.

---

(17) انظر شجرة النور الزكية ص 335، وسلوة الأنفاس 1/ 160 منها تفسير سورة الفاتحة، وقد شرعت في تحقيقه.

(18) انظر شجرة النور الزكية ص 335.

(19) انظر المصدرين السابقين.

(20) انظر مصادر ترجمته التي سبق ذكرها، وفي حاشية سلوة الأنفاس 1/ 161 أنه توفي في الثامن والعشرين من شهر صفر فليحرر.

وقد حاولت قدر المستطاع إخراج النص سليماً صحيحاً كما أراده مؤلفه، فلم أبخل بجهد في هذا السبيل واضعاً نصب عيني ما تطلبه إعادة النص إلى وضعه الأول من دقة وأمانة، وحيطة وحذر، وقد تكون الإعادة إلى الأصل أصعب من إنشاء أصل جديد، مصداق ذلك قول الجاحظ: «لربّما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام»[21].

وفيما يلي النص المحقق.

(تقييد على سورة الإخلاص: لسيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري، المتوفى عام 1144 هـ)[22].

بسم الله الرحمن الرحيم ـ صلى الله على سيدنا محمد وآله ـ[23].

(هذا تقييد على سورة الإخلاص، من إفادة الشيخ خاتمة المحققين، وملجأ المشاركين، نخبات الزمان، وجنات العرفان، سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري ـ رحمه الله ـ)[24].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[25].

سبب نزول سورة الإخلاص[26] أن اليهود، وقيل المشركين، سألوا النبي

---

(21) كتاب الحيوان للجاحظ 1/ 79.

(22) ما بين القوسين ساقط في ب.

(23) في ب وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

(24) ما بين القوسين ساقط في ب، وقد جاء ما هو قريب منه في الصفحة التي قبلها ونصه: «الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي، لا نبي بعده، هذا تقييد على سورة الإخلاص، أفادنيه شيخ شيخ شيخنا الأمثل الأفضل خاتمة المحققين، وملجأ المشاركين ونخبة الزمان وجنة العرفان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن زكري كان الله له ولياً، وبه صفياً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(25) سورة الإخلاص، الآيات: 1 ـ 4.

(26) وأما سبب نزولها الذي ذكره، فهو فيما يظهر لي أنه نقله عن ابن عطية بتصرف قليل، إذ قال في المحرر الوجيز (5/ 536): «وروى أبي بن كعب أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن =

ﷺ فقالوا: صف لنا ربك وانسبه، فارتعد رسول الله ﷺ حتى خرّ مغشياً عليه، ونزل عليه جبريل بهذه السورة.

فعلى الأول هي مدنية، وعلى الثاني هي[27] مكية[28]، وهي تعدل ثلث القرآن، كما في الحديث[29] أي في الثواب، لاشتمالها على أحد علوم القرآن

= نسب ربه ـ تعالى ـ عما يقول الجاهلون، فنزلت هذه السورة، وروى ابن عباس: أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا يا محمد، صف لنا ربك وانسبه، فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها، فارتعد رسول حتى خر مغشياً عليه، ونزل عليه جبريل بهذه السورة، وقال أبو العالية: قال قادة الأحزاب لرسول الله: انسب لنا ربك، فأتاه الوحي بهذه السورة».

وهكذا نرى أنه قد تصرف في جمع الرأيين، الأول والثاني اللذين قالهما ابن عطية أو غيره ممن قالوا بذلك، وهذا السبب أجمع عليه المفسرون، منهم الزمخشري في الكشاف 4/ 298، وأبو حيان في البحر المحيط 8/ 529، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم 9/ 212.

(27) في ب: وعلى الثاني مكية.

(28) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (5/ 536): «هذه السورة مكية، قاله مجاهد، بخلاف عنه، وعطاء وقتادة، وقال ابن عباس، والقرظي وأبو العالية: هي مدنية».

وقال أبو حيان في البحر المحيط (8/ 529): «هذه السورة مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة، وعطاء ومجاهد وقتادة، مدنية في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك». وقول أبو حيان هذا ذكره الآلوسي في روح المعاني (30/ 341) ثم تعقبه بقوله: «وخبر ابن عباس السابق إن صح ظاهر في أنها عنده مكية، وفي الإتقان فيها قولان لحديثين في سبب نزولها متعارضين، وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها، ثم ظهر لي ترجيح أنها مدنية، وعلى ما في الكتابين لا يخفى ما في قول الداني أنها مكية بالاتفاق من الدلالة على قلة الاطلاع».

والذي أميل إليه أنها مكية، لأنها تعالج أصلاً من أصول العقيدة وهو التوحيد، إذ أنها: «جاءت معرفة بالتوحيد، رادة على عبّاد الأوثان، والقائلين بالثنوية وبالتثليث، وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد» (البحر المحيط (8/ 529).

(29) أخرج البخاري في صحيحه (4/ 1616) عن أبي سعيد الخُدْرِيّ: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددُها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ. فذكر ذلك له، وكأنّ الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن» وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (5/ 537): «تعدل ثلث القرآن بما فيها من التوحيد».

وفصل الإمام الغزالي هذا الحديث في كتابه جواهر القرآن (ص 47) فقال: «فاعلم أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن قطعاً، وارجع إلى الأقسام الثلاثة التي ذكرناها في مهمات القرآن، إذ هي معرفة الله ـ تعالى ـ ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة والباقي توابع، وسورة الإخلاص تشتمل على واحد من الثلاث، وهو معرفة الله وتوحيده وتقديسه عن مشارك في الجنس والنوع، وهو المراد بنفي الأصل، والفرع، والكفؤ، ووصفه=

الثلاثة، وهي التوحيد، والأحكام، والقصص، أي لم يقصد منها غير التوحيد، الذي هو أشرف، بخلاف غيرها من السور، فإنه وإن تضمنه[30] غيره، وهو: ضمير المسؤول عنه، مبتدأ واسم الجلالة خبر أول ـ وأحد ثان، واسم الجلالة الثاني ثالث، والصمد رابع.

وقال البصريون[31]: هو ضمير الأمر والشأن مبتدأ، والجملة من اسم الجلالة وأَحد مفسرة خبر، وذلك ـ والله أعلم ـ لأمرين أحدهما: أن الإخبار باسم الجلالة في هذا المقام لا يفيد، لأنهم لم يسألوا عن الاسم ولا عن المسمى من حيث دلالة الاسم.

ثانيهما: إن جعل اسم الجلالة مبتدأ لا يلزم عليه تكرير، لأن مضمون الجملة المخبر بها ثانياً، أعني: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ غير مضمون الأولى، بخلاف جعله خبراً، وسيأتيك جوابهما، ويلزم على قولهم خلوّ السورة من جواب السؤال بالقصد الذاتي، وإن تضمنته تبعاً، والجواب عن غير مسؤول عنه، إذ لم يسألوا عن الأمر والشأن.

فالصواب ما قدمته وأَحَد ليس بدلاً[32]، إذ اسم الجلالة هو المقصود بالحكم قصداً ذاتياً، إذ هو روح الجواب وتمامه، وأحد جيء به لنكتة يأتي بيانها.

= بالصمد يشعر بأنه الصمد الذي لا مقصد في الوجود للحوائج سواه، نعم ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم، وقد ذكرنا أن أصول مهمات القرآن معرفة الله ـ تعالى ـ ومعرفة الآخرة، ومعرفة الصراط المستقيم، فلذلك تعدل ثلث القرآن، أي ثلث الأصول من القرآن».

(30) في ب: فإنه وإن تضمنه تضمن غيره.

(31) قال ابن هشام في مغني اللبيب (2/ 543، ص 555): «ضمير الشأن والقصة»، وقال أبو حيان في البحر المحيط (8/ 529): «وإن لم يصح السبب فهو ضمير الأمر الشأن».

(32) قال الزمخشري في الكشاف 4/ 289: «وأحد بدل من قوله: الله، أو على هو أحد، وهو بمعنى واحد، وأصله وحد، وقال أبو حيان في المصدر السابق: «أحد خبر ثان» وذكر رأي الزمخشري الذي سبق ذكره، ثم قال: «وإن لم يصح السبب فهو ضمير الأمر والشأن مبتدأ والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر (هو) و(أحد) بمعنى واحد، أي فرد من جميع جهات الوحدانية، أي في ذاته وصفاته لا يتجزأ».

فهو خبر آخر، والصمد[33] فسر بتفاسير أمسُّها بالمقام: إنه الذي يصمد إليه في الحوائج، لِمَا يأتي، ثم أَحد متضمن لوحدانية الذات والصفات والأفعال على أكمل وجه، إذ لأحديته[34] مبالغة في الوحدة، فلا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن تكون أكمل ولا أشد منها.

والصمد بالمعنى الذي ذكرناه، متضمن للقدرة والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والحياة، والكلام، وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ مثبت للبقاء[35]، أي: لا يخلفه أحد، إذ الولد يخلف أباه، ويقوم مقامه، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي﴾[36].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ مفيد للقدم[37]، أي لم ينشأ وجوده عن شيء، فلا أول له، ويفيدان معاً الافتقار ملزم للحدوث.

---

(33) وأما (الصمد) ففي الكشاف (4/ 289): «فعل بمعنى مفعول من صمد إليه، إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، والمعنى: هو الله الذي تعرفونه وتقرون بأنه خالق السماوت والأرض وخالقكم وهو واحد متوحد بالإلهية لا يشارك فيها، وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه، وهو الغني عنهم».

وقال في المحرر الوجيز (5/ 536): «و ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ابتداء خبر، وقيل: الصمد نعت، والخبر فيما بعده» وقال في البحر المحيط (8/ 529): «مبتدأ وخبر والأفصح أن تكون هذه جملاً مستقلة بالأخبار على سبيل الاستئناف، وقيل: الصمد: صفة والخبر في الجملة بعده».

(34) في ب: الأحدية.

(35) قال في الكشاف 4/ 298: «لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالد، وقد دل على هذا المعنى بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ (الأنعام 102) وذكر مثله أبو حيان في البحر المحيط (8/ 530) وقال أبو السعود في إرشاد العقل السليم (9/ 213): «تنصيصاً على إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح، ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي، أي لم يصدر عنه ولد، لأنه لا يجانسه شيء، ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة» وقال الآلوسي في روح المعاني (30/ 352): «ونفى ذلك عنه تعالى لأن الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه وذلك يقتضي التركيب المنافي للصمدية والأحدية، أو لأن الولد من جنس أبيه ولا يجانسه ـ تعالى ـ أحد لأنه ـ سبحانه ـ واجب وغيره ممكن، لأن الولد على ما قيل يطلبه العاقل، إما لإعانته أو ليخلفه بعده، وهو ـ سبحانه ـ دائم باق، غير محتاج إلى شيء من ذلك».

(36) سورة مريم، بعضاً من الآية الرابعة وبعضاً من الخامسة، وتمامها: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾.

(37) في الكشاف 4/ 299: «وصف بالقدم والأولية».

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ دال على مخالفته للحوادث، فالسورة مفيدة جميع العقائد الإلهية[38]. ومن هنا تبين جواب الصحابي، الذي كان يقرأها لأصحابه في الصلاة، وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه على سرية، فكان يفعل ذلك، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن[39]، فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[40]. أي وبحبه إياه، أحبه هو بشهادة: ﴿يحبهم ويحبونه﴾[41] فحبُّ الله إياه أنتج محبته أياه، وحبُّه لله بقلبه أنتج ظهورَ ذلك في أعماله، وجريانَه على جوارحه، فجعل يقرأ السورة المذكورة، من أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، فجزاؤه الإخبار والتبشير على لسان الرسول ﷺ، لا المخبر به، إذ ليس متأخر الحصول عن حبه لله، وقوله: لأنها صفة الرحمن متضمن لسببين كل منهما يقتضي محبتها، أولهما اشتمالها على بيان صفاته ـ تعالى ـ وثانيهما أن ذلك الاشتمال جاء من حيث الرحمة لتوسط الصمد فيها، فإنه من الأسماء الدالة على معنى الرحمة إذ معناه الذي يصمد إليه في الحوائج، ومنه تطلب، فهو ملجأ السائلين، ومعتمد الطالبين، والمعروف بقضاء حوائج المحتاجين، هذه حكمة إضافة الصفة للرحمن مع أنه غير مذكور في السورة ـ والله أعلم ـ.

---

(38) قال ابن عطية في المحرر الوجيز 5/ 537: «معناه: ليس له ضد ولا ند، ولا شبيه».

(39) جاء في الإصابة لابن حجر (3/ 291): كرز بن زهدم الأنصاري: ذكره الحافظ رشيد الدين بن العطار في حاشية المبهمات للخطيب فيما قرأت بخطه، وقال هو الذي كان يصلي بقومه ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الحديث، وفيه قوله: إنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها، وذكر أنه نقل ذلك من صفة التصوف لابن طاهر ذكره عن عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن مندة عن أبيه، وقرأت بخط شيخنا الشيخ تاج الدين البلقيني أن اسم هذا كلثوم بن زهدم، قال ووهم من قال: إنه كلثوم بن الهدم الذي والده ـ بكسر الهاء وسكون الدال بعدها ميم ـ فإنه مات قديماً قبل هذه القصة، فكأنه اعتمد على ما كتبه الرشيد العطار».

(40) أخرج البخاري في صحيحه 5/ 2302: عن عائشة أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ «أخبروه أن الله يحبه».

(41) المائدة من الآية 56.

وأما قوله: فأنا أحب أن أقرأ بها بعد ذكر السبب: إن له حالاً اقتضت ذلك، فلا يحكم بحكمه إلا لمن ماثله فيها، فسألوا الشيخ زروق في عدة المريد[42] لو كانت القراءة بها أفضل في حق كل أحد من حيث ذاتُها لكان ﷺ أولى بذلك، فإن قلتم: إنما عمل بغيره للتشريع، قُلنا فالصحابة كانوا أحرص منا على الخير، وأعلمَ بالسنّة، ولن يأتيَ آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها، نعم، والحديث المذكور شاهد بأن ذلك لا يصح عموماً، لأنه لو صح ما شكره، وهو صاحب حالٍ في محبتها، ولولا ذلك ما عذره ـ عليه السلام ـ إذ لم ينكر عليهم إنكارهم، وسأله عن السبب، فجعل الحكم معلقاً عليه فلا تصح الإشاعة في العموم، ولا الاستظهار بذلك لمثله، إلا إذا وافقه في علة حكمه أو ما في معناها ـ والله أعلم ـ[43].

والذي في الحديث عن الرجل المذكور، أنه كان يضيفها لغيرها في رواية بالتقديم وفي أخرى بالتأخير ا هـ[44].

وفي صحيح البخاري[45] عن أنس، كان رَجُلٌ من الأنصار يؤُمُّهم في مسجد قُباءٍ، فكان[46] كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة، فما[47] يقرأ

---

(42) كتاب عدة المريد الصادق، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (1657 د ص 33)، والشيخ زروق هو: أبو العباس، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، الشهير بزروق، الشيخ الكامل الولي العارف بالله، الواصل الصالح الزاهد الفاضل، العالم العامل، شيخ الطريقة وإمام الحقيقة، أخذ عن أئمة من أهل المشرق، والمغرب، منهم حلولو والرصاع والسنوسي، والشيخ الجزولي وعنه الحطاب الكبير والخروبي الصغير، له تآليف كثيرة، منها تسعة وعشرين شرحاً على الحكم العطائية، وله النصيحة الكافية، وتعليق على البخاري، وهو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة، مولده سنة 846 هـ وتوفي في صفر سنة 899 بمصراته من أعمال طرابلس، وقبره متبرك به (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص 267 ـ 268 والأعلام للزركلي 1/ 87 ـ 88.

(43) في ب ـ والله سبحانه أعلم ـ

(44) وفي ب انتهى.

(45) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الجمع بين السورتين في الركعة (1/ 238 ـ 239) وفيه بعض الفروق القليلة بيانها حسب مواضعها.

(46) وفي البخاري: وكان.

(47) والذي فيه مما.

به افتتح بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. حتى يفرُغ منها، ثم يقرأ بسورة[48] أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعةٍ، فكلمه أصحابُهُ وقالوا[49]: إنك تفتتِحُ بهذه السورة، لا ترى[50] أنها تجزئُك حتى تقرأَ بأُخرى، فإما[51] تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتُم أن أَؤُمّكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمّهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبرَ فقال: «يا فلانُ ما يمنعُك أن تفعل ما يأمُرُك به أصحابُك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟».

فقال: «إني أحبُّها، فقال: حُبُّك إياها أدخلك الجنة»[52].

قال ابن حجر[53]: قيل: هذا الصحابي هو: كلثوم بن الهِدم ـ بكسر الهاء ـ ونظر فيه بأن في حديث عائشة في هذه القصة أنه كان أمير سرية،

---

(48) والذي فيه سورة بدون باء.

(49) والذي فيه: فقالوا.

(50) والذي فيه ثم لا ترى.

(51) والذي فيه فإما أن تقرأ بها.

(52) في ب انتهى.

(53) في الإصابة في تمييز الصحابة، (3/ 305)؛ كلثوم بن الهدم ـ بكسر الهاء وسكون الدال ـ ابن امرىء القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، وابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل، شهاب الدين بن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، له تصانيف كثيرة جليلة، منها لسان الميزان، والأحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام، توفي سنة (852 هـ) (راجع الأعلام للزركلي 1/ 173).

وقال ابن سعد في الطبقات الكبرى: (3/ 623 ـ 624): كان كلثوم بن الهدم رجلاً شريفاً وكان شيخاً كبيراً، وأسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة؛ فلما هاجر رسول الله ﷺ ونزل في بني عمرو بن عوف نزل على كلثوم بن الهدم وكان ﷺ يتحدّث في منزل سعد بن خيثمة، وكان يسمّى منزل العزّاب، قال محمد بن عمر: فلذلك قيل: نزل على سعد بن خيثمة، والثبت عندنا نزوله على كلثوم بن الهدم العمري، ونزل على كلثوم أيضاً جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ثم لم يلبث كلثوم بن الهِدْم بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة إلا يسيراً حتى تُوفي وذلك قبل أن يخرج رسول الله ﷺ إلى بدر بيسير)، وانظر الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر (3/ 1327 ـ 1328) وأُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (4/ 195 ـ 196).

وكلثوم بن الهِدم مات في أوائل ما قدِم رسول الله ﷺ المدينة، وذلك قبل بعث السرايا، وذكر ابن مندة[54] عن أبيه، أن الرجل هو كرز بن زهدم، وعلى هذا فالذي كان يؤم في مسجد قباء، غير أمير السرية، ويَدُلُّ على تغايرهما، أن في رواية الباب أنه كان يبدأ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. وأمير السّرية كان يختم بها، وفي هذا أنه كان يصنع ذلك في كل ركعة. ولم يصرح بذلك في قصة الآخر، وفي هذا أن النبي ﷺ [وأمير السرية][55]، أمر أصحابه أن يسألوه، وفي هذا.

أنه قال[56] يحبها فبشره بالجنة، وأمير السرية، قال: إنها صفة الرحمن فبشره بأن الله يحبه ا هـ[57].

ووقع نظير هذا أيضاً لسيدنا معاوية[58] بن مقرن المزني، روَى حديثه أنس بن مالك، وأبوأمامة الباهلي، قال: أنسٌ نزل جبريل على النبيّ ﷺ فقال: يا محمد، مات معاوية بن معاوية المزني، أفتحبّ[59] أن تصلي عليه؟

---

(54) ابن مندة هو: عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن مندة (راجع الإصابة 3/ 291).

(55) هكذا في المخطوط ولعلها زائدة.

(56) في ب: قال إنه يحبها.

(57) في ب: انتهى.

(58) قال ابن حجر في الإصابة 3/ 436 ـ 437 معاوية بن معاوية المزني، ذكره البغوي وجماعة، وقالوا: مات في عهد النبي ﷺ وردت قصته في حديث أبي أمامة وأنس مسندة، ومن طريق سعيد بن المسيب والحسن البصري مرسلة، فأخرج الطبراني ومحمد بن أيوب بن الضريس في فضائل القرآن، وابن مندة والبيهقي في الدلائل كلهم من طرق محبوب بن هلال بن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك، وذكر القصة المذكورة، ونقل قول أبي حاتم أنه ليس بالمشهور، وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرجه ابن سنجر في مسنده وابن الأعرابي وابن عبد البر، ورويناه بعلو في فوائد حاجب الطوسي، كلهم من طريق يزيد بن هارون أنبأ العلاء أبو محمد الثقفي سمعت أنس بن مالك يقول.. الخ ثم تعقبه بقوله: والعلاء أبو محمد هو ابن زيد الثقفي واه، وأخطأ في قوله: الليثي، وله طريق ثالثة عن أنس ذكرها ابن مندة من رواية أبي عتاب في الدلائل.

(59) في الاستيعاب 3/ 1423: أفتحب، وفي الإصابة 3/ 305: أتحب، وقال أبو عمر بن عبد البر: «أسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية، ولو أنها في الأحكام لم يكن في شيء منها حجة، ومعاوية بن مقرن المزني وإخوته: النعمان وسويد، ومعقل وسائرهم ـ وكانوا سبعة ـ معروفون في الصحابة، مذكورون في كبارهم، وأما معاوية بن معاوية فلا أعرفه بغير ما ذكرت في =

قال: «نعم»، فضرب بجناحيه[60] الأرض، فلم تبق[61] شجرة ولا أكمة[62] إلا تضعضعت، ورفع له[63] سريره حتى نظر إليه، فصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك، فقال[64] النبي ﷺ لجبريل: يا جبريل: «بم نال هذه المنزلة من الله عز وجل؟»[65] فقال: بحبه[66] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقراءته إياها جائياً وذاهباً، وقائماً وقاعداً وعلى كل حال.

وعن أبي أمامة الباهلي[67]، قال: أتى رسول الله ﷺ جبريلُ ـ عليه السلام ـ وهو بتبوك[68]، فقال: يا محمد، أشْهَدْ جنازة معاوية بن مقرن المزني، قال فخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ونزل جبريل ـ عليه السلام ـ في سبعين ألفاً من الملائكة، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت حتى

= هذا الباب، وفضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لا ينكر» (الاستيعاب 3/ 1425) وذكره ابن الأثير في أُسْد الغابة في معرفة الصحابة 4/ 438.

(60) في الاستيعاب 3/ 1423) بجناحه، وفي الإصابة 3/ 305: بجناحيه.

(61) في المصدرين السابقين: يبق.

(62) في الإصابة: أكمة ولا شجرة. والكُمُّ للطلع، وقد كُمّت النخلة على صيغة ما لم يسم فاعله. كمّاً وكُمُوماً، وكُمُّ كل نَوْر، وعاؤه، والجمع أكمام وأكاميم، وهو الكمام، وجمعه أكمَّةٌ، التهذيب: الكُمُّ كُمُّ الطلع، ولكل شجرة مثمرة كُمٌّ، وهو بُرْعُومته (لسان العرب مادة كمم).

(63) في الاستيعاب: ورفع إليه، وفي الإصابة: فرفع سريره.

(64) في الاستيعاب: قال بدلاً من فقال، وفي الإصابة: فقال يا جبريل لم نال معاوية هذه المنزلة.

(65) في ب والإصابة: قال.

(66) في الإصابة: بحب.

(67) وأبو أمامة الباهلي: اسمه صدى بن عجلان، لم يختلفوا في ذلك، واختلفوا في نسبه إلى باهلة، وهو مالك بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بزيادة رجل في نسبه ونقصان آخر، فلم أر لذكره وجهاً، سكن مصر، ثم انتقل منها إلى حمص، فسكنها ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ وأكثر حديثه عن الشاميين، توفي سنة إحدى وثمانين وقيل سنة ست وثمانين. وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ في قول بعضهم» (راجع الاستيعاب (4/ 1602)، وكذا في أسد الغابة 5/ 16، 17).

(68) تبوك ـ بفتح التاء ـ وهي أقصى أثر رسول الله ﷺ وهي من أدنى أرض الشام (راجع معجم ما استعجم للبكري 1/ 303).

وقال السهيلي في التعريف والأعلام (ص 125): «وتبوك: اسم عين كان النبي ﷺ قد نهاهم أن يمسكوا من مائها».

نظرنا إلى مكة، وجناحه الأيسر على [الأرض][69] فتواضعت حتى نظرنا إلى المدينة، فصلى رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليهم السلام ـ فلما فرغ، قال: «يا جبريل، ما بلغ معاوية[70] بن مقرن هذه المنزلة؟» قال: قراءته[71] ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً ا هـ.

إلا أن إسنادهما ليس بالقوي، كما قال أبو عمر في الاستيعاب[72]، وها هنا أسئلة، **أحدها**: أن مقتضى الظاهر هو القادر، المريد، العالم، إلى آخره إذ هو المطابق لسؤال السائلين، لطلبهم بيان الوصف، فلم عدل عنه؟

ثانيهما: أن المعدول «الله» علَمٌ لا وصف، فلم يتضمن بيان شيء مما سألوا عنه، وهذا أخص من الأول، كما لا يخفى.

وجوابهما معاً: أن العلم متضمن للمشخصات، جامع لها مع اختصاره، والسائلون إن كانوا اليهود فقد كانوا في ذلك الوقت عارفين به ـ تعالى ـ من كتابهم الذي كان بأيديهم مستقيماً، وإن كانوا العرب، فقد كانوا عارفين به ـ تعالى ـ بتقدم دعوة النبي ﷺ لعبادة الله تعالى في عموم أوقاته وحالاته، مع ما كان فيهم من بقايا شرائع إبراهيم ـ عليه السلام ـ فكأنه قيل هو الذي [تعرفوه][73]، إذ سؤالهم إنما كان تعنيتاً. نظيره ليقرب، إذا قيل للعبد من سيدك؟ فيقول: هو الخليفة، أو هو الملك، فلا شك أنه جواب تام في بيان المسؤول عنه، لشهرة الخليفة، واتضاح شأنه.

---

(69) ما بين المعكوفين ساقطة من أ، ب، وقد أثبتناه من الاستيعاب 3/ 1424، إذ جاء فيه «ووضع جناحه الأيسر على الأرض فتواضعت حتى نظر إلى مكة والمدينة».

والذي في ب: على الجبال فتواضعت، وجناحه الأيسر على الجبال فتواضعت حتى نظرنا إلى مكة والمدينة، فصلى عليه رسول الله ﷺ وفيه خلط والصحيح ما أثبتناه من الاستيعاب.

(70) في ب: بمعاوية.

(71) في الاستيعاب: بقراءته.

(72) 3/ 1424 ـ 1425، وأبو عمر هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، حافظ مؤرخ، عارف بالرجال والأنساب، من تصانيفه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، توفي سنة (463 هـ) (انظر تذكرة الحفاظ للذهبي 3/ 1128، ومعجم المؤلفين لكحالة 13/ 315).

(73) هكذا في المخطوط ولعل الصواب: تعرفونه.

ثالثها[74]: إذا كان الأمر كذلك، فلم أتبع بأحد وذكر بعده؟

رابعها: لم خص بالذكر دون غيره من الصفات، وهذا أخص من الأول كما لا يخفى.

وجوابُهما معاً: أنه نداء على السائلين بالغباوة بمقتضى سؤالهم، وزيادة توثيق للجواب، أي هو أحد، لا يلتبس، ولا يشتبه، حتى يُسأل عنه، إذ الأحد الذي لا يتعقل فيه التعدد بوجهٍ من الوجوه كامل الوضوح، تام الظهور، فلا معنى للسؤال، ولذا عدل عن الواحد إلى أحد الذي هو أبلغ.

ووجه آخر، وهو الرد على السائلين في اعتقادهم الشركة: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[75].

وقال المشركون[76]: الملائكة بنات الله، فأبطل رأيهم بقوله: أحد.

خامسها: لم نكّر أحد، وهلاّ سلكتْ فيه طريق التعريف كما في الصمد؟

وجوابه: الإشارة إلى رفع توهم التبعية، ودفع ما تُوهِمه من توقف تمام الجواب، وإفادة بيان المسؤول عنه على الصفة.

سادسها: إن التنكير وإن ارتكب لما ذكر فهو مفيت لما يفيده التعريف من القصر الملائم للمقام.

وجوابُهُ: إن معنى أحد محصل لهذه النكتة بدون تعريف، فإن الأحدية يستحيل الاشتراك في معناها، إذ لا أحدية مع الاشتراك.

سابعُها: لم كرر اسم الجلالة، والمعنى تام بدون تكرير؟

وجوابه: أنه للإشارة إلى أن النبي ﷺ على يقين وتثبت في جوابه، وفيه إشارة إلى الافتخار بالعبودية، لهذا الرب الجليل، والتلذذ بذكره مع ما فيه من

---

(74) في أ ـ ثانيها، والصواب ما أثبتناه من ب، لأنه سبق وأن ذكر ذلك ويدل على أنها ثالثها كذلك ما ذكره بعدها بقوله: ورابعها: لم خص بالذكر... الخ.

(75) التوبة من الآية: 30.

(76) لعله يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء 40).

التوكيد، ومن التوطئة، والتمهيد لذكر الصمد، إذ لو قيل: هو الله أحد الصمد لكان فيه ركاكة بالجمع بين طريقتين متنافيتين في صفتين لشيء واحد من غير فاصل، وتأمل قولك هو الملك جليل الشجاع، وقولك هو الملك جليل، الملك الشجاع يظهر لك الفرق، ووجهٌ آخر، وهو أن تكون الإعادة إعانة واستعداد لاستحضار الجملة من المفرد، أعني الصفات المتعددة من الاسم الجامع.

ثامنها: لمَ جيء بالصمد، وما المقتضى لذكره في هذا المقام، مع تضمن اسم الجلالة لسائر الصفات؟ وجوابُه: إرادة فضيحتهم في التعنيت، وزيادة الإيضاح والبيان إذ معناه الذي يصمد إليه في الحوائج، أي منه تطلب وتسأل، أي تطلبونها منه، وتسألونه إياها كغيركم فأنتم عارفون به، فلا وجه للسؤال، وكأنه قيل: هو الذي تعرفونه بطلبكم منه.

تاسعها: لم غير الأسلوب، وهلاّ نكر كأحد؟ وجوابه: الإشارة لقصره عليه مع قضاء الوطر من دفع توهم التبعية، وبيان قصر الخبرية.

عاشرها: أنه لا يلزم من نفي الولد والوالد عدم الإمكان المطابق للواقع لاحتمال أن يكون اتفاقياً.

وجوابه: أن جواب سؤالهم لا يتوقف على بيان الاستحالة، وذكر دليلها، وإنما يتوقف على بيان عدم الوقوع، وقد بين ـ تعالى ـ استحالة الولد واستحالة مطلق الافتقار في غير ما آية، وذكر براهين ذلك.

الحادي عَشَر: أنه لا يلزم من نفي وقوع ذلك في الماضي نفي وقوعه في المستقبل، وجوابُهُ: أنه إنما احتيج لنفي الماضي لأنه الذي ادعى ولم يدع أحد أنه لم يلد في الماضي ويلد في المستقبل، وجيء بلم يولد على وتيرة ما قبله.

الثاني عَشَرَ: لم ذَكرت صفة التنزيه على المثل مع تضمن الاسم الجامع لها، وقول السائلين، وانسبه لا يقتضيها، كما اقتضى ما قبلها؟ وجوابه: أنه كان كالبيان، أنفى[77] الولدية والوالدية لاقتضائهما الجنسية والمماثلة،

---

(77) في ب: لنفي الولدية.

وكالدليل لبطلان دعوى الولدية، كأنه قيل: من ادعيتم له النبوة لم يكن مماثلاً بل منافياً غاية [المنافاة][78] لفنائهم، وعجزهم، وافتقارهم، وعجز ذلك من سمات حدوثهم.

الثالث عشر: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾، مفيد للمعنى المراد، فلم عدل لأكثر منه وما الداعي إلى ذكر أحد؟

وجوابُهُ: أنه أبلغ في العظمة والكبرياء، فإن الواقع في المعدول عنه: الحكم على أفراد المثل بعدم الوجود، وفي المعدول إليه: الحكم على كل أحد بعدم المثلية، ويندرج في عموم كل منهما عظماء الخلق وكبراؤهم، من النبيين والمرسلين، والملائكة المقربين، لكن ليس في الأول ما ينبه لهذا المعنى، إذ المتعقل منه نفي المثل. وهو معنى تام مستقل، وفي الثاني ما ينبه له، إذ المتعقل منه نفي المثلية عن كل أحد، فهما كالإجمال والتفصيل.

والحاصل: أن مفاد الأول بعض مفاد الثاني؛ إذ نفي المثلية عن كل أحد صريح في نفي نفس المثلية ونفي نفس المثل، وإن كان مستلزماً لنفي المثلية عن كل أحد في الواقع، لكن ليس في الكلام ما يوقظ له، ويهدي إليه.

الرابع عشر: لم قدم خبر كان على رتبته، والظرف على عامله؟

وجوابُه: قصد رعاية الفواصل، وإن المراد بيان صفته ـ تعالى ـ لا نفي المثلية عن الأحد لذاته، [فالحديث][79] عنه، فقدم ذكر ضميره.

الخامس عشر: لم تُرِك العطف في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ وارتكب فيما بعد؟

وجوابه: إن ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ليس جملة على ما اخترناه، بل الكلمات المذكورة أخبار متعددة، كما تقدم وعلى رأي الجمهور: قال الطيبي[80] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ محقق لمعنى الجملة المتقدمة ومبين لها، إذ

---

(78) في المخطوط: المنافات. وما أثبتناه هو الصواب وفق الرسم الإملائي الحالي.

(79) هكذا في المخطوط ولعله: والحديث.

(80) لم أعثر على قوله هذا في كتابه «فتوح الغيب شرح ما أشكل من كتاب الكشاف للزمخشري»، =

الصمدية دليل الأحدية، فإنه[81] لم يكن أحد، لما كان غنياً مطلقاً، بحيث[82] لا يحتاج إلى شيء، ويحتاج[83] له كل شيء، ولهذا لم يعطف ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، لأنه محقق لمضمون ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لأن الغنى المطلق الذي يفتقر إليه كل شيء لا ينبغي أن يكون والداً ولا مولوداً، لأن ذلك يستلزم الافتقار بالضرورة، وعطف ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، على ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، لأنه لا ينبىء على معنى لم يلد، فلم يكن محققاً لمعناه، بل الجملتان محققتان لمعنى الجملة السابقة، ولهذا عطف: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لأن مضمونه غير محقق لمضمون ما قبله ـ والله تعالى أعلم بالصواب ـ انتهى[84] من خط مقيده بواسطة كان الله للجميع بمنه آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1 ـ **القرآن الكريم**، مصحف الجماهيرية، برواية الإمام قالون، أشرفت على إعداده وطباعته ونشره جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس.

2 ـ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1414 هـ/ 1994 م.

= المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1967 ك)، إذ الجزء الأول متضمن لسورتي الفاتحة والبقرة، والثاني من أول سورة يوسف إلى الأنبياء، والمخطوط رقم (2008 ك) من سورة الأعراف إلى سورة هود.

والطيبي بكسر الطاء الإمام المشهور العلامة: الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، متواضعاً، حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، من تصانيفه: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب في التفسير، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان، (توفي سنة 743 هـ)انظر بغية الوعاة للسيوطي 1/ 522 ـ 523 ومعجم المؤلفين لكحالة 4/ 53).

(81) لعله فإنه لو لم يكن أحد.

(82) سقط من ب: بحيث.

(83) في ب: إليه

(84) في ب: انتهى بحمد الله وحسن عونه كان الله تعالى للجميع.

3 ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، بدون ت.

4 ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، لعز الدين بن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ت.

5 ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر، وبهامشه كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، الطبعة الأولى، سنة 1328 هـ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

6 ـ **الاعلام** للزركلي، الطبعة الثالثة، بيروت، 1389 هـ/ 1969 م.

7 ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** للبغدادي، منشورات مكتبة المثنى بغداد.

8 ـ **البحر المحيط** لأبي حيان، دراسة وتحقيق وتعليق مجموعة من الأساتذة دار الكتب العلمية بيروت، الطبقة الأولى 1413 هـ/ 1993 م.

9 ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت بدون ت.

10 ـ **تذكره الحفاظ** لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، دار إحياء التراث العربي.

11 ـ **التعريف والاعلام فيما أُبهم من القرآن من الأسماء الأعلام** للسهيلي تحقيق عبد الله محمد، النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الطبعة الأولى، 1401 و.ر/ 1992 م.

12 ـ **جواهر القرآن** للغزالي، تقديم الشيخ محمد أبو العلا، مكتبة الجندي مصر، بدون ت.

13 ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للعلامة الآلوسي، دار الفكر بيروت، 1403 هـ/ 1983 م.

14 ـ **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تأليف الأستاذ الإمام محمد بن جعفر الكتّاني.

15 ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد مخلوف، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة جديدة عن الطبعة الأولى سنة 1349 هـ.

16 ـ **صحيح البخاري**، تحقيق الشيخ محمد علي القطب، المكتبة العصرية بيروت 1411 هـ/ 1991 م.

17 ـ **الطبقات الكبرى** لابن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1377 هـ/ 1957 م.

18 ـ **عدة المريد الصادق** للشيخ زروق، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت (1657 د).

19 ـ **فهرس الخزانة التيمورية**، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1947 م.

20 ـ **فهرس الخزانة الخديوية**، طبعة أولى بالمطبعة العثمانية بمصر 1305 هـ.

21 ـ **فهرس الخزانة العامة بالرباط**، مطبعة التومي.

22 ـ **فهرس دار الكتب المصرية**، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1361 هـ/ 1942 م وطبعة سنة 1357 هـ/ 1938 م.

23 ـ **كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو الجاحظ**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية بدون ت.

24 ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل** للزمخشري دار المعرفة بيروت.

25 ـ **لسان العرب** لابن منظور، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1375 هـ/ 1955 م.

26 ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1413 هـ/ 1993 م.

27 ـ **معجم ما استعجم** لأبي عبيد البكري ضبط وتحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة 1403 هـ/ 1983 م.

28 ـ **معجم المؤلفين** لكحالة، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بدون ت.

29 ـ **مغني اللبيب**، لأبي هشام الأنصاري، تحقيق وتخريج د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1969 م.